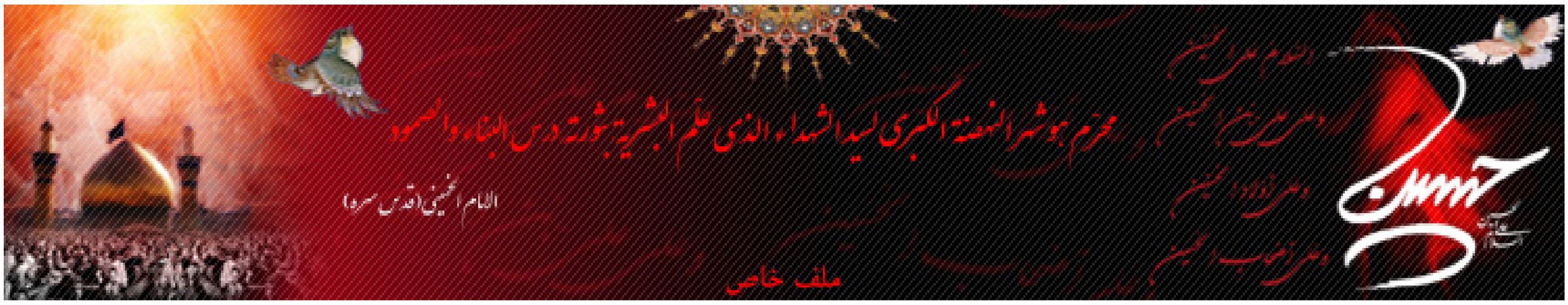

حقيقة عاشوراء وأهداف الثورة الحسينية في فكر الإمام الخميني (قدس سره)

حقيقة عاشوراء بحسب ما ورد من أقوال الإمام الخميني قدس سره باعتبارها حدثاً يتخطى حدود الزمان والمكان حيث إن مؤثرية شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وتضحياتهم لا زالت تفعل فعلها بكل أرض وكل زمن مهما اختلفت الألسن والألوان والأعراق وحتى الأديان

حقيقة عاشوراء بحسب ما ورد من أقوال الإمام الخميني قدس سره باعتبارها حدثاً يتخطى حدود الزمان والمكان حيث إن مؤثرية شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وتضحياتهم لا زالت تفعل فعلها بكل أرض وكل زمن مهما اختلفت الألسن والألوان والأعراق وحتى الأديان. لذا فإن النهضة الحسينية في عاشوراء إلهية بكل تفاصيلها، وإنسانية بمحض شمول مفاعيلها وتأثيراتها لكل حرّ. وعن ذلك يقول الإمام قدس سره: «ينبغي لنا أن ندرك أبعاد هذه الشهادة ونعي عمقها وتأثيرها في العالم ونلتفت إلى أن تأثيرها ما زال مشهوداً اليوم أيضاً»

وبحسب قول الإمام الخميني قدس سره فبالإضافة إلى كون النهضة الحسينية قياماً لله وأداء للتكليف الإلهي لكنها أيضاً حركة سياسية كبرى بكل تفاصيلها من أول خطوة فيها حتى الشهادة وعن ذلك تحدث قدس سره: «إن مجيء سيد الشهداء عليه السلام إلى مكة وخروجه منها بتلك الحال يعد حركة سياسية كبيرة ففي الوقت الذي كان فيه الحجيج يدخلون مكة كان الحسين عليه السلام يغادرها وهي حركة سياسية، فكل سلوكيات الحسين عليه السلام وأعماله كانت سياسية إسلامية وهي التي قضت على بني أمية ولو لا تلك الدم لكان سحق الإسلام وانتهى»

ويقول عن كون نهضة سيد الشهداء قياماً لله: «والرسول الأكرم هو الوسيط. ليست أكثر من موعظة واحدة هو إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله قوموا لله عندما تشاهدون الخطر يحدق بدين الله. قام أمير المؤمنين لله عندما شاهد دين الله في خطر وان معاوية يحرّف دين الله ونفس الشيء بالنسبة لسيد الشهداء فقد قام لله وهذا أمر لا يختص بزمن معين إن موعظة الله دائمية...»

وهي تكليف إلهي يقول قدس سره: «عندما يرى سيد الشهداء عليه السلام أن حاكماً ظالماً يحكم بين الناس ويظلمهم فيجب عليه أن يقف بوجهه ويمنعه بقدر استطاعته. إن بضعة أنفار لم يكونوا شيئاً يذكر إمام ذلك الجيش، ولكنها المسؤولية والتكليف إذ كان يجب عليه أن ينتفض، ويقدم دمه حتى يصلح هذه الأمة وحتى يقضي على راية يزيد، وهذا ما قام به فعلاً فقد قدم دمه ودم أولاده وأنفسهم، وكل ما يملك من أجل الإسلام»

أسباب النهضة الحسينية:

بعد هذا العرض دعنا نتلمّس رؤية الإمام الخميني قدس سره لأسباب هذه النهضة بحسب الوارد في كلماته وخطاباته.

١ـ عداء الحكام للإسلام:

ويقول قدس سره عن يزيد وبني أمية: «... فهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام منذ البداية وكانوا يكنون الحسد والحقد لأولياء الإسلام»

٢ـ التآمر على الإسلام:

ويقول الإمام قدس سره: «وأنقذ (أي الإسلام) من تآمر العناصر الفاسدة وحكم بني أمية الذين أوصلوا الإسلام إلى حافة الهاوية»

٣ـ العمل على محو الإسلام وإضاعة جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لقد أوشكت حكومة يزيد وجلاوزته الجائرة أن تمحو الإسلام وتضيّع جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم المضنية وجهود مسلمي صدر الإسلام ودماء الشهداء وتلقي بها في زاوية النسيان، وتعمل ما من شأنه أن يضيع كل ذلك سدى»

٤ـ القضاء على الإسلام وطمس معالمه:

«لقد هدف بنو أمية للقضاء على الإسلام»

«لقد رأى سيد الشهداء عليه السلام أن معاوية وابنه لعنة الله عليهما يعملان على هدم الدين وتقويض أركانه وتشويه الإسلام وطمس معالمه...»

٥ـ تشويه الإسلام وقلب حقيقته:

«لقد أوشك حكم بني أمية المنحط أن يظهر الإسلام بمظهر الحكام الطاغوتي ويشوه سمعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقد فعل معاوية وأبنه الظالم الأفاعيل ضد الإسلام وارتكب ما لم يرتكبه جنكيز خان فقد بدلاً أساس عقيدة الوحي ومعالمها إلى نظام شيطاني»

«فقد حاولا (أي معاوية ويزيد) قلب حقيقة الإسلام، فقد امتلأت مجالسهم بشرب الخمر ولعب القمار»

٦ـ تحويل الحكم الإسلام إلى ملَكية:

«إن الخطر الذي كان يمثله معاوية ويزيد ضد الإسلام لم ينحصر في كونهما غاصبين للخلافة فهو أهون من الخطر الأكبر الآخر وهو أنهما حاولا جعل الإسلام عبارة عن سلطنة وملكية وأرادا أن يحولا الأمور المعنوية إلى طاغوت»

«لم تكن القضية غصب الخلافة فحسب. لقد كان قيام سيد الشهداء عليه السلام وثورته قياماً ضد السلطة الطاغوتية»

٧ـ الإساءة إلى سمعة الإسلام والحكم:

يقول قدس سره: «عندما رأى سيد الشهداء عليه السلام أن هؤلاء يسيؤون باعمالهم سمعة الإسلام ويشوّهون صورته باسم خلافة الرسول ويرتكبون المعاصي ويحكمون بالظلم والجور وأن انعكاس ذلك على الصعيد العالمي هو أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمارس هذه الأعمال، فرأى من واجبه أن ينهض ويثور حتى لو أدى الأمر إلى مقتله، المهم هو إزالة ما تركه معاوية وابنه من آثار على الإسلام»

ويقول قدس سره كذلك١٦: «عندما يرى سيد الشهداء عليه السلام أن حاكماً ظالماً يحكم في الناس بالجور والعدوان فإنه يقول: من رأى حاكماً جائراً يحكم في الناس بالظلم والجور فعليه أن يقوم بوجهه ويمنعه من الظلم بمقدار ما يستطيع ولو كان معه بضعة أنصار فقط يقفون معه بوجه ذلك الحاكم ذي الجيش العظيم الجرار»

٨ـ الانغماس في المعاصي ومخالفة سنّة الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يقول قدس سره: «... إنه (أي يزيد) يقترف المعاصي ويخالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... فهو يسفك الدماء ويهدر الأموال ويبذرها وهي ذات الأفعال التي كان يقوم بها أبوه معاوية أتى أمير المؤمنين علياً عليه السلام إلى معارضته»

أهداف النهضة الحسينية

من خلال ما تقدم يمكن القول بإجمال أن أسباب النهضة الحسينية بحسب رؤية الإمام الخميني قدس سره تتلخص بوجود حكومة طاغوتية آثمة جائرة وغاشمة تستغل الحرمات وتشوه الدين ومفاهيمه وتلحق أذية كبرى بصورة الإسلام وسمعته وسمعة النبي الأعظم قدس سره لذلك فإن حركة الإمام الحسين بحسب ما يراه الإمام قدس سره هي إزالة كل هذا الواقع وقلعه واستنفاذ الإسلام وصورة نبيّه وتنظيف سمعة الإسلام والنبي من التشوه والتلوث الذي ألحقته بهما ممارسات بني أمية ولنعد إلى تلمس أهداف الثورة الحسينية من أقوال الإمام الخميني قدس سره.

١ـ أحياء الإسلام واستنقاذه:

يقول قدس سره: «وقد قتل سيد الشهداء عليه السلام ولم يكن طامعاً في الثواب، فهو عليه السلام لم يعر هذا الأمر كثير الاهتمام، لقد كانت نهضته لإنقاذ الدين ولإحياء الإسلام ودفع عجلته إلى الأمام»

«محرم هو الشهر الذي أحيى فيه الإسلام على سيد المجاهدين والمظلومين عليه السلام وأنقذ من تآمر العناصر الفاسدة وحكم بني أمية، الذين أوصلوا الإسلام إلى حافة الهاوية»

ويقول كذلك: «في صدر الإسلام وبعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ مُرسي أُسس العدالة والحرية ـ أوشك الإسلام أن ينمحي ويتلاشى بسبب انحرافات بني أمية وكاد يسحق تحت أقدام الظالمين ويبتلع من قبل الجبابرة، فهبّ سيد الشهداء عليه السلام لتفجير نهضة عاشوراء العظيمة»

٢ـ صون مستقبل الإسلام والمسلمين:

عن ذلك يقول الإمام قدس سره: «لقد كان الحسين عليه السلام يفكر بمستقبل الإسلام والمسلمين باعتبار أن الإسلام سينتشر بين الناس نتيجة لتضحياته ولجهاده المقدس وإن نظامه السياسي والاجتماعي سيقام في مجتمعنا، فرفع لواء المعارضة والنضال والتضحية»

ويقول قدس سره: «... فسيد الشهداء عليه السلام قتل وأولئك الشبان والأنصار في سبيل الإسلام ضحوا بأرواحهم وأحيوا الإسلام»

ويقول كذلك: «إن سيد الشهداء عليه السلام لبى صرخة الإسلام واستجاب لاستغاثته وإنقاذه»

٣ـ كسر عقدة الخوف:

لقد كان المجتمع غارقاً في حالة من الرعب مستسلماً للطاغية نتيجة ممارساته الجائرة وكان على أحد أن يواجهه ليبث الشجاعة والإقدام وعن ذلك يتحدث الإمام قدس سره: «لقد علم عليه السلام الناس أن لا يخشوا قلة العدد فالعدد ليس هو الأساس بل الأصل والمهم هو النوعية، والمهم هو كيفية التصدي للأعداء والنضال ضدهم والمقاومة بوجوههم فهذا هو الموصل إلى الهدف»

ويقول قدس سره: «لقد أفهمونا أنه لا ينبغي للنساء ولا للرجال أن يخافوا في مقابل حكومة الجور»

«فسيد الشهداء قد حدد تكليفنا فلا تخشوا من قلة العدد ولا من الاستشهاد في ميدان الحرب»

٤ـ مقاومة الظلم والفساد (روح المقاومة):

«لقد ضحى سيد الشهداء عليه السلام بجميع أصحابه وشبابه وبكل ما يملكه في سبيل الله ولتقوية الإسلامية ومكافحة الظلم، ومعارضة الإمبراطورية التي كانت قائمة آنذاك...»

«وكان الواحد منهم يزعم أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويشرب الخمر في مجلسه ويلعب القمار! ثم يبقى خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوجه إلى الصلاة ويؤم صلاة الجماعة. إن هذا خطر كبير واجه الإسلام مما دفع سيد الشهداء عليه السلام للقيام لرفضه»

«... هنا اقتضى التكليف أن ينهض عظماء الإسلام بمهمة المعارضة والمعاهدة وإزالة التشويه الذي يوشك أن يلحقه هؤلاء بسمعة ومكانة الإسلام...»

٥ـ الثورة والنهي عن المنكر:

«لقد تحرك سيد الشهداء مع عدد قليل من الأنصار وثار بوجه يزيد الذي كان حاكماً متجبّراً يرأس حكومة غاشمة جائرة ويتظاهر بالإسلام ويستغل قرابته وصلته العائلية٣١ بالإمام عليه السلام قد كان رغم تظاهره بالإسلام وزعمه أن حكومته حكومة إسلامية وأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان امرءاً ظالماً يهيمن على مقدرات بلدٍ دون حق لذا فإن الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام ثار بوجهه مع قلة الأنصار لأنه رأى أن واجبه وتكليفه يقتضي ذلك، وإن عليه أن يستنكر ما يحدث وأن ينهى عن المنكر»

ويقول قدس سره: «لقد أعلن سيد الشهداء عليه السلام بصراحة أن هدفه من قيامه هو إقامة العدل فالمعروف لا يعمل به والمنكر لا يتناهى عنه لذا فهو يريد إقامة المعروف ومحو المنكر فجميع الإنحرافات منشؤها المنكر وما عدا خط التوحيد المستقيم فكل ما في العالم منكرات ويجب أن تزول»٣٣.

«لقد ضحى سيد الشهداء بكل حياته من أجل إزالة المنكر ومحوه ومكافحة حكومة الظلم والحيلولة دون المفاسد التي أوجدتها الحكومات المنحرفة في العالم»

٦ـ إصلاح الأمة وتدمير حكومة الجور:

«ونحن الموالون لسيد الشهداء عليه السلام السائرون على نهجه ينبغي أن ننظر في حياته وفي قيامه الذي كان الدافع إليه النهي عن المنكر ومحوه ومن المنكر حكومة الجور وهي يجب أن تزول»

«فما سعى (سيد الشهداء) بجد للإطاحة بحكومة الجور وإزالتها «كان التكليف يوجب على سيد الشهداء عليه السلام أن يقوم ويثور ويضحي بدمه كي يصلح هذه الأمة ويهزم راية يزيد»

* سلسلة الفكر والنهج الخميني. عاشوراء في فكر الإمام الخميني. نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية. ص: ١٩-٣٠. ط ٣. آذار ٢٠٠٧م - ١٤٢٨ هـ

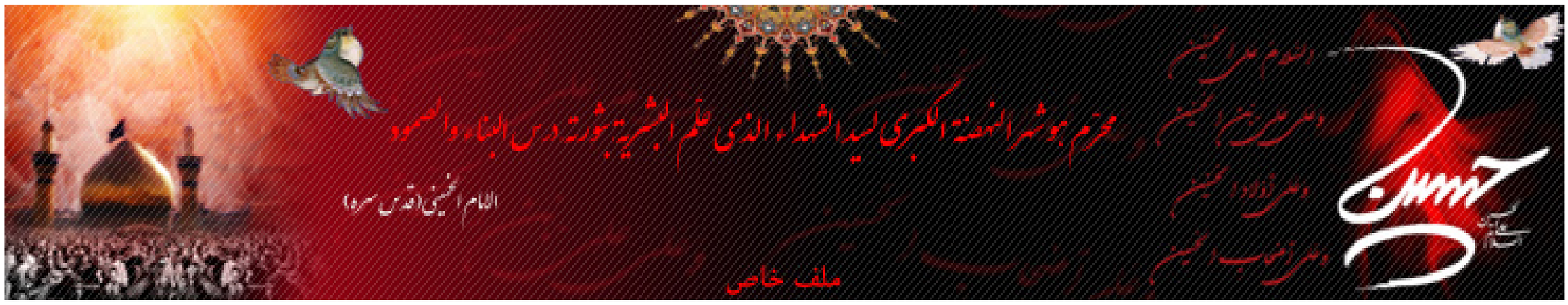

أبعاد حركة الإمام الحسين (عليه السلام) في كلمات الامام الخامنئي (دام ظله)

الإمام الحسين (عليه السلام) لدى خروجه من المدينة كتب وصيته التاريخية لأخيه محمد بن الحنفية والتي قال فيها: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

فأبو عبد الله (عليه السلام) قد أوصى أخاه محمداً بن الحنفية، مرّتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكة، وأتصوّر أنّ هذه الوصيّة كانت عند خروجه من مكة في شهر ذي الحجّة ـ فبعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و... يقول الإمام (عليه السلام): «وإنّي ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت أريد الإصلاح في أمّة جدّي» أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً، والإصلاح ليس بالأمر الهيّن، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدّة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح. ثمّ يقول (عليه السلام): «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي». والإصلاح يتمّ عن هذا الطريق، وهو ما قلنا إنّه مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنَّ الحسين بن علي (عليه السلام) لم يتوجه إلى كربلاء بهدف القتال؛ فالذي يذهب إلى ميدان القتال لابد له من الجنود؛ ولكن الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) كان قد حمل معه أهل بيته من النساء والأطفال، مما يعني أن حادثة ستقع في ذلك المكان وستدغدغ عواطف البشرية على طول التاريخ حتى تتضح عظمة ما قام به الإمام الحسين. لقد كان الإمام الحسين يدري أن أعداءه حقراء وسفهاء، وكان يرى أن الذين جاؤوا لقتاله ليسوا سوى شرذمة من أراذل وأوباش الكوفة طمعاً في الحصول على عطية تافهة وحقيرة هي التي دفعتهم إلى هذا المسلك وارتكاب مثل هذه الجريمة العظمى، وكان يعلم بما سيحلّ بنسائه وأبنائه. فالإمام الحسين لم يكن غافلاً عن كل هذا، ولكنه لم يكن مستعداً للاستسلام والعودة عن قراره، بل كان يحثّ على مواصلة الطريق مما يدل على أهمية هذا الطريق وعظمة هذا العمل.

لقد وردت عبارة في زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) تنطوي على مغزى عميق وهي جديرة بالتأمل والتدبر كسواها من العبارات الكثيرة الواردة في مثل هذه الزيارات والأدعية، وإنني أود اليوم وبمناسبة ذكرى تاسوعاء وعزاء سيد الشهداء التحدث قليلاً بشأن هذه العبارة في الخطبة الأولى، حيث إنها ناظرة إلى أهداف النهضة الحسينية. وهذه العبارة هي «وبذل مهجته فيك». وقد وردت في زيارة الأربعين التي تأتي فقراتها الأولى على صورة دعاء يناجي به المتكلم المولى سبحانه وتعالى فيقول «وبذل مهجته فيك» أي الحسين بن علي (عليهما السلام) «ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة». فهذا هو أحد جوانب القضية وهو المتعلق بصاحب النهضة أي الحسين بن علي (عليه السلام)، وأما الجانب الآخر فيرد في الفقرة التالية التي تقول «وقد توازر عليه من غرّته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى» في وصف للواقفين على الجبهة المضادة، وهم الذين غرتهم الدنيا بالمطامع المادية والزخارف والشهوات والأهواء النفسية فباعوا حظهم من السعادة الدنيوية والأخروية بالأرذل الأدنى. وهذه هي خلاصة النهضة الحسينية.

أبعاد حركة الإمام الحسين (عليه السلام)

يدرك المرء أن بإمكانه النظر إلى النهضة الحسينية بمنظارين في الواقع، وكلاهما صحيح، سوى أن مجموعهما يكشف عن الأبعاد العظيمة لهذه النهضة؛ فالنظرة الأولى تكشف عن الحركة الظاهرية للحسين بن علي، والتي قام بها في مواجهة حكومة فاسدة ومنحرفة وظالمة وقمعية وهي حكومة يزيد. وأما باطن القضية وعمقها فتكشف عنه النظرة الثانية، وهي الحركة الأعظم والأعمق لأنها ضد جهل الإنسان وضلالته. فمع أن الإمام الحسين قام بمقارعة يزيد في الواقع، إلا أن هذه المقارعة الواسعة التاريخية لم تكن ضد يزيد الفرد الفاني الذي لا يساوي شيئاً، بل كانت ضد جهل الإنسان وانحطاطه وضلالته وذلّه، وهو ما يكافحه الإمام الحسين في الحقيقة.

ونهضة الإمام الحسين لها بعدان آخران يمكن أن يسفر كل منهما عن نتيجة طيبة؛ الأول: أن يستطيع الإمام الحسين (عليه السلام) التغلب على حكومة يزيد واسترداد السلطة من يد أولئك الذين يقمعون الناس ويتلاعبون بمصيرهم ووضع الأمور في نصابها الصحيح؛ فلو كان قد حدث ذلك لتغيرت مسيرة التاريخ. وأما الثاني فكان عدم تمكن الإمام الحسين من إحراز هذا النصر السياسي والعسكري لأي سبب من الأسباب، وعندئذ لم يكن أمامه سوى استبدال القول بالدم والمظلومية وتحمّل الخسارة التي لن ينساها التاريخ على مدى الزمان، لتبقى كلمته تياراً جارفاً لا ينقطع إلى أبد الدهر. وهذا هو ما فعله الإمام الحسين. وفي الحقيقة فلو كان الذين يدعون الإمام قد وقفوا موقفاً آخر غير الذي اتخذوه مع الإمام الحسين لتحقق البعد الأول للثورة ولاستطاع الإمام الحسين إصلاح الدنيا والآخرة في ذلك الوقت، ولكنهم قصروا في حقه! أما لماذا قصروا، وكيف قصروا، فإن ذلك من الأبحاث الطويلة والمريرة، وقد تحدثت عن بعض جوانبه منذ عدة سنوات تحت عنوان (الخواص والعوام)؛ أي من الذين قصروا، وعلى من يقع هذا التقصير، وكيف كان، وأين كان؟ وهو ما لا أريد الخوض فيه مرة أخرى. وعلى هذا الأساس فقد وقع التقصير من البعض وهو ما حال دون تحقق الهدف الأول، بينما تحقق الهدف الثاني، وهو ما لم يكن بوسع أية قوة كانت سلبه من الإمام الحسين، حيث إن قوة التوجه إلى ميدان الشهادة، والتضحية بالنفس والأعزة، هو ذلك الحدث العظيم الذي تضاءلت وتلاشت أمام عظمته قوة العدو وعظمته، وهو الذي يمنح الشمس المزيد من الازدهار والتألّق يوماً بعد آخر في عالم الإسلام ويحيط بكل البشرية.

خطر سلطة يزيد على الإسلام

إنَّ يزيد الحاكم لم يكن على علاقة مع الناس، ولم يكن من أهل العلم، ولم يكن تقياً ولا نقياً ولا حكيماً، كما لم تكن له سابقة في الجهاد في سبيل الله، ولم يكن يؤمن قدر ذرة بمعنويات الإسلام، ولم يكن يتصرف في سلوكه كالإنسان المؤمن، ولم يكن قوله كأقوال الحكماء؛ أي أنه كان عارياً عن أي شبه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي مثل هذه الظروف سنحت الفرصة للإمام الحسين ليقوم بثورته، وهو الإمام الذي كان يجب أن يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أداء مهمته.

خصائص واقعة كربلاء

علينا الإمعان والتأمّل قليلاً في قضية الإمام الحسين (عليه السلام).

لقد ثار الكثيرون في العالم وقتلوا وكان لهم قادة، وكان بينهم الكثير من أبناء الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، لكن سيد الشهداء (عليه السلام) فرد واحد، وواقعة كربلاء فريدة في نوعها، ومكانة شهداء كربلاء منحصرة بهم، لماذا؟

يجب البحث عن الإجابة في طبيعة هذه الواقعة لتكون لنا وللحرس ـ خصوصاً ـ درساً.

إن إحدى خصائص هذه الواقعة هي أنَّ خروج الإمام الحسين (عليه السلام) كان خالصاً لله، ولإصلاح المجتمع الإسلامي، وهذه خصيصة هامّة. فعندما يقول الإمام (عليه السلام): «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً» فمعناه أن ثورتي لم تكن للرياء والغرور وليست فيها ذرّة من الظلم والفساد، بل «إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي» أي أن هدفي هو الإصلاح فقط ولا غير.

إن القرآن الكريم حينما يخاطب المسلمين في صدر الإسلام يقول: {ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس} ، وهنا الإمام (عليه السلام) يقول: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً». تأمّلوا جيداً، فهنا نهجان وخطّان. فالقرآن يقول لا تكونوا مثل الذين خرجوا «بطراً» أي غروراً وتكبّراً، ولا أثر للإخلاص في تحرّكهم، وإنّما المطروح في هذا المنهج الفاسد هو «أنا» و«الذات»، و«رئاء الناس»، أي انّه تزيَّنَ ولبس الحلي وامتطى جواداً غالياً وخرج من مكة وهو يرجّز، إلى أين؟ إلى الحرب، التي يهلك فيها أمثال هؤلاء أيضاً، فهذا خطّ.

وهناك خطّ ونهج آخر ومثاله ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، والتي لا وجود لـ«أنا» ولـ«ذات» والمصالح الشخصية والقومية والحزبية فيها أبداً، إذاً هذه أول خصّيصة من خصائص ثورة الحسين بن علي (عليه السلام).

فكلّما ازداد الإخلاص في أعمالنا كلّما ازدادت قيمتها، وكلّما ابتعدنا عن الإخلاص كلّما اقتربنا من الغرور والرياء والعمل للمصالح الشخصية والقومية، وكلّما ازدادت الشوائب في الشيء كلّما أسرع في الفساد، فلو كان نقيّاً وخالصاً لما فسد أبداً.

وإنْ أردنا إعطاء مثال بالأمور المحسوسة، نقول: إذا كان الذهب خالصاً ونقياً فلا يقبل الفساد والصدأ أبداً، وإنْ كان مخلوطاً بالنحاس والحديد وبقية المواد الرخيصة الثمن، احتمل الفساد أكثر، فهذا في الماديّات. أمّا في المعنويات فانّ هذه المعادلة أكثر دقّة، إنما نحن لا نفهمها بسبب نظرتنا المادية، لكن يدركها أهل الفن والبصيرة، وانّ الله تعالى هو الناقد في هذه الواقعة، «فانّ الناقد بصير»، فوجود شائبة بمقدار رأس إبرة في العمل يقلّل من قيمة العمل بالمقدار نفسه، وحركة الإمام الحسين (عليه السلام) من الأعمال التي ليست فيها شائبة ولو بمقدار رأس إبرة، لذا هو باقٍ إلى الآن وسيبقى خالداً إلى الأبد. فمن توقّع خلود اسم وذكر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأنصاره في التاريخ؟ أولئك الذين قُتِلوا غرباء في تلك الصحراء وحيث دفنوا فيها رغم كلّ الإعلام المعادي في ذلك الوقت، وكيف أنهم أحرقوا المدينة بعد استشهاد هذا العظيم بسنة في واقعة الحرّة، أي أنهم نتفوا الورود بعد أن خرّبوا الروضة، فمن توقّع أن يفوح عطرها؟ وبأيّة قاعدة ماديّة يُتصور بقاء وردة في هذه الروضة؟ لكن تلاحظون انّه كلما مرّ الزمان عليها كلّما أصبحت تلك الروضة أكثر عطراً.فهناك أناس لا يعتقدون بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هو جدّ الحسين (عليه السلام) والحسين سائر على نهجه، ولا يعتقدون بأبيه علي (عليه السلام) ولا يؤمنون بحرب الحسين (عليه السلام)، لكنهم يقبلون الحسين (عليه السلام) ويعظّمونه، فهذا هو الخلوص، وهذه هي النكتة الأولى.

وفي ثورتنا العظيمة كان الإخلاص سبباً لبقائها، ذلك الجوهر الخالص الذي كان الإمام مظهره. ارجعوا إلى تلك الذكريات وتلك التضحيات في سوح الحرب، ذلك الحر المهلك في الصحاري والبراري، ذلك الشتاء القارس في الجبال، ذلك الرعب والخوف والخطر المستمر في سوح القتال، تلك المحاصرة، قلة القوات التي كنّا نتحمّس كثيراً لإعداد عدد قليل منها، عدم امتلاك الأسلحة حيث كنا نركض وراء مسدس أو قذيفة. تذكروا كلّ هذا واستشعروا تلك الأيام، لتدركوا لماذا كانت كلّ هذه المؤامرات ضدّ الثورة؟ ولماذا تستمر إلى الآن؟ لكن بقيت هذه الشجرة راسخة.

إن هذا الجوهر (الإخلاص) هو الذي حفظها، إن إخلاص الإمام (ره) والشعب خاصة إخلاص أولئك المقاتلين في سوح القتال ـ وانتم من أفضلهم وأمثلهم ـ هو الذي حفظ الثورة ودعم استمرارها، إذاً هذه نكتة يجب الاهتمام بها دائماً ، وأنا أحوج من غيري إلى هذا الاهتمام.

إن النكتة الأخرى في ثورة الحسين (عليه السلام) ـ وهي مهمة أيضاً ـ وهذه النكتة وإنْ كانت ترجع إلى قوة الإخلاص، لكنها في نفسها مهمة نظراً لوضعنا اليوم، وهذه النكتة هي غربة الحسين (عليه السلام)، فلا يوجد في أيّة واقعة من الوقائع الدامية في صدر الإسلام غربة ووحدة كما في واقعة كربلاء، فمن رغب فليتأمل في تاريخ الإسلام. إنني أمعنت جيداً فلم أجد واقعة كواقعة كربلاء. ففي حوادث صدر الإسلام وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحروب أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت حكومة ودولة وجنود يشاركون في الحرب، ومن ورائهم أدعية الأمهات، آمال الأخوات، تقدير الحضور وتشجيع القيادة العظيمة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لأمير المؤمنين (عليه السلام)، كانوا يضحّون بأنفسهم أمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ليس صعباً. فكم من شبابنا قدّموا أرواحهم لدى سماعهم نداءاً من الإمام، وكم منّا من يأمل في إشارة من الولي الغائب (عج) لنضحّي بأنفسنا. فعندما يرى الإنسان القائد بعينه ويشاهد تقدير وثناء من خلفه ويعلم انه يقاتل ليهزم العدو ويأمل بالنصر، فإنّه يقاتل براحة أكبر، وهكذا حرب ليست صعبة، طبعاً هناك حوادث في التاريخ فيها الغربة نسبياً كحوادث أبناء الأئمة والحسنيّون في عصر الأئمة عليهم السلام، لكن هؤلاء كانوا يعملون في ظلّ إمام كالإمام الصادق (عليه السلام)، والإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)، وكالإمام الثامن (عليه السلام)، وقائدهم وسيّدهم حاضر يسندهم ويتفقّد عيالهم، فكان الإمام الصادق (عليه السلام) يأمرهم بقتال الحكام الفسدة ويقول «وعليّ نفقة عياله» وكان المجتمع الشيعي ظهراً لهم، وبالنهاية كان لهم أمل خلف ساحات الحرب، لكن في واقعة كربلاء، فانّ أس القضية ولب لُباب الإسلام المقبول من الجميع أي الإمام الحسين (عليه السلام) في ميدان الحرب، ويعلم هو وأصحابه انه سيستشهد ولا أمل له في أي أحد في هذا العالم الواسع وهو غريب ووحيد. ومن رجالات الإسلام ذلك اليوم من لا يغتمّ لقتل الحسين (عليه السلام) بل يعتبر وجوده مضراً بحاله، ومنهم من لا يبالي بالقضية وإن حزن لقتله (عليه السلام) (كعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وأمثالهم).

عظمة واقعة كربلاء

إنّ أس القضية ولب لُباب الإسلام المقبول من الجميع هو أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه كانوا يعلمون انه سيستشهد ولا أمل له في أي أحد في هذا العالم الواسع وهو غريب ووحيد. ومن رجالات الإسلام ذلك اليوم من لا يغتمّ لقتلِ الحسين (عليه السلام) بل يعتبر وجوده مضراً بحاله. ومنهم من لا يبالي بالقضية وإن حزن لقتله (عليه السلام) (كعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وأمثالهم). فلم يكن للإمام (عليه السلام) أدنى أمل بمن هم خارج ميدان القتال المليء بالمحن. فما كان موجوداً فهو في ميدان القتال فقط. والأمل مقتصر على هذا الجمع. والجمع مسلّم للشهادة. وبعد الاستشهاد لا يقام لهم مجلس فاتحة حسب الموازين الظاهرية. فيزيد متسلّط على كلّ شيء . وتُساق نسائهم أسارا ولا يُرْحَم أطفالهم «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله» فلولا الإيمان والإخلاص والنور الإلهي في قلب الحسين ابن علي (عليهما السلام) والذي بعث الحرارة في قلوب الصفوة المؤمنة حوله لما تحقّقت تلك الواقعة. فانظروا إلى عظمة هذه الواقعة.

منـزلة شهداء واقعة كربلاء

يمكن مقارنة شهدائنا بشهداء بدر وحنين وأُحد وشهداء صفين والجمل. بل شهدائنا أرفع منـزلة من كثير من هؤلاء الشهداء. لكن بشهداء كربلاء. فلا. فلا يقارن أحد بشهداء كربلاء. لا اليوم ولا في الماضي. لا في صدر الإسلام ولا أبداً إلى أن يشاء الله . إنّ هؤلاء هم صفوة الشهداء. فلا نظير لعلي الأكبر ولحبيب بن مُظاهر. فهذه واقعة كربلاء ـ أعزّتي ـ وهذه هي القاعدة الراسخة والمتينة التي حفظت الإسلام على مدى ألف وثلاثمائة وعدّة سنوات رغم كلّ العداء له. فهل تتصورون أن الإسلام يبقى لولا تلك الشهادة وذلك اليوم وتلك الواقعة العظمى؟ بل تيقّنوا بمحو الإسلام في أتون الأحداث. نعم قد يبقى العنوان كدين تاريخي مع عدد قليل من الأتباع في زاوية من زوايا العالم. وقد يبقى اسم وذكر للإسلام لكن تمحى حقيقته. انظروا إلى الإسلام في هذا العصر كيف انّه حيّ وبنّاء. وكيف تتفاءل الشعوب بأنواره الساطعة بعد (١٤٠٠) سنة. وكلّ هذا من بركات واقعة كربلاء ومن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

عزّة وشموخ الإمام الحسين (عليه السلام)

إن سلوك الإمام الحسين منذ خروجه من المدينة وحتى يوم استشهاده في كربلاء كان منطوياً على المعنويات والعزة والشموخ وفي نفس الوقت مغموراً بالعبودية والتسليم المطلق لأمر الله. وهكذا كان دائماً وفي كل المراحل. ففي ذلك اليوم الذي جاءته مئات وربما آلاف الرسائل تحمل نداء القائلين بأنهم شيعته وأنصاره وأنهم في الكوفة والعراق بانتظار وصوله. فإنه لم يصب بالغرور. وعندما قال «خطَّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة» فإنه كان يتحدث عن الموت ولم يهدد الأعداء وينذرهم بالويل والثبور. كما أنه لم يقم بترغيب أصحابه ولم يقم بتقسيم مناصب الكوفة بينهم. لقد كانت حركته حركة إسلامية مفعمة بالعلم والمعرفة والعبودية والتواضع في ذلك اليوم الذي مد فيه الجميع إليه أيديهم وأظهروا له الود والإخلاص. وحتى في كربلاء عندما حاصره ثلاثون ألفاً من الأراذل والأوباش مع أصحابه الذين لم يبلغوا المائة وهددوه هو ومن معه من أعزائه بالموت كما هددوا نساءه وحرمه بالأسر. فإن هذا الرجل الإلهي والعبد الرباني العزيز في الإسلام لم تبدُ عليه ذرة من الاضطراب.

يقول ذلك الراوي الذي ينقل أحداث يوم عاشوراء التي تناقلتها الألسن والكتب «فو الله ما رأيت مكسوراً أربط جأشاً من الحسين». فالإنسان يلتقي الكثيرين في ميادين الحرب المختلفة وفي الساحات الاجتماعية والعرصات السياسية وسواها من المجالات الأخرى التي تضم ذوي الابتلاءات المختلفة: ولكن الراوي يحكي عن عدم مشاهدته لأحد مثل الحسين بن علي في موقفه هذا. حيث نـزلت عليه شتى المصائب غير أنه واجهها بوجه مستبشر قاطع. مما يدل على قوة العزيمة ورسوخ الإرادة والتوكل على الله. فهذه هي العزة الإلهية. وهذا هو الموقف الذي خطّه الإمام الحسين في سجل التاريخ.

السير على نهج الإمام الحسين (عليه السلام)

أيها الإخوة والأعزاء! فلو حافظنا على رسالة الإمام الحسين حيّةً ونابضة. ولو أدركنا العظمة الكامنة في اسم الإمام الحسين. ولو تطلعنا لهذه النهضة واعتبرناها حدثاً إنسانياً عظيماً على مدى التاريخ. لأعاننا كل ذلك على مواصلة الطريق والتقدم إلى الإمام وعلى ألاّ نحيد عن درب الإمام الحسين وعلى تحقيق ما رسمناه من أهداف بلطف الله. وسيبلغ الشعب الإيراني آماله إن شاء الله. لقد جعل الله تعالى اسم الإمام الحسين (عليه السلام) مجلّلاً بالعظمة وحافظ على واقعة كربلاء حيّة في التاريخ. وإن ما قلته لا يعني أننا نعمل على جعل اسم الإمام الحسين عظيماً. كلاّ. فهذا الحدث أعظم من أن تغطي عليه كافة أحداث الزمان أو أن تمحو رسمه من صفحات التاريخ.

خلود واقعة كربلاء

بلغ الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه ـ الذين نلطم على صدورنا ونبكي لأجلهم ونحبّهم أكثر من أبنائنا ـ قمة الغربة. وكانت نتيجة بقاء وحيوية الإسلام الى اليوم. إذاً واقعة كربلاء حيّة وباقية ليس في مجرد قطعة أرض صغيرة فقط وإنّما في منطقة مترامية الأطراف في محيط الحياة البشرية. إنّ كربلاء موجودة في كلّ شيء: في الأدب. في الثقافة. في السنن والآثار. في الاعتقادات. في القلوب.

التأكيد على إعلاء كلمة الإمام الحسين(ع)

إنّ اجتماعكم اجتماع أثير لدي. إذ بإمكانه إعلاء الكلمة الحسينية وأن يعبّد هذا الطريق المبارك إن شاء الله. طبعاً إنّ طريق الحسين (عليه السلام) لم يُغلق أبداً في بلادنا وأُمّتنا طوال القرون. ولم يتمكن المخالفون والمعاندون من فعل شيء.

إنَّ هذا الطريق مليء بالبركات. ولو أنّ علماء الدين والمبلغين والخطباء سعوا في هذا الطريق بما يليق بشهر محرم وأبدعوا وابتكروا وقاموا بجهود مخلصة مصحوبة بالأعمال الفكرية والعلمية القيّمة لازدادت البركات على ما كانت عليه بأضعاف مضاعفة. لذا فعلينا جهد إمكاننا أن نسعى جميعاً في هذا المجال.

الشعار الحسيني في خطاب الإمام الخميني (قدس سره)

قبل أن نتحدث عن استخدام الإمام الخميني رضوان الله عليه للشعارات الحسينية والكربلائية في طريق الثورة الإسلامية في إيران وتحقيق أهدافها فإن علينا أن نشير أولاً إلى نظرة الإمام الخميني للعلاقة بين الثورة الإسلامية في إيران وثورة الحسين(ع) في كربلاء. وذلك أن الشعارات عند الإمام "قدس سره" ليست إلا تعبيراً صادقاً ومضغوطاً عن العقائد والأفكار والأهداف التي كان يؤمن بها ويؤمن بإمكان تحققها في الحياة. وكان يجد أن الشعار الملتزم والصادق وسيلة ناجحة ومفيدة لتركيز تلك العقائد والأفكار والأهداف في أذهان عموم أفراد الشعب والأمة والمساعدة في تحويل كل ذلك إلى حقيقة وواقع معاش.

ونحن عندما نبحث في كلمات الإمام الخميني نجد أن كربلاء الحسين(ع) كانت تسكن قلبه وعقله وفكره وروحه. وأن سيرة ومواقف أبي عبد الله الحسين(ع) كانت تحكم سلوكه وعمله ومواقفه. فهو يعتبر أن كل ما تحقق لإيران والشعب الإيراني من ثورة وعزة وكرامة وتقدم وخير هو من كربلاء ومن عاشوراء «إن كل ما لدينا هو من عاشوراء ومن هذه المراسم الحسينية».وهو يقول بصراحة ووضوح: «لولا نهضة سيد الشهداء(ع) لما استطعنا تحقيق النصر في ثورتنا هذه»والسبب في توقف نصر الثورة المعاصرة على ثورة التاريخ الدامي هو أن ثورة الدم القاني استطاعت أن تصون الإسلام المحمدي الأصيل وتحفظه حياً ليصل إلى جيل الثورة المعاصرة غضاً طرياً كما أراده رسول الله بعقائده وقيمه وأخلاقه وكل ما فيه من تعاليم ومناهج للحياة والحرية والعزة. وبهذا الصدد يقول الإمام رضوان الله عليه «إن سيد الشهداء(ع) هو الذي صان الإسلام وحفظه حتى وصل إلينا نحن الجالسين هنا».

ويقول: «لو لم تكن عاشوراء ولولا تضحيات آل الرسول لتمكن طواغيت ذلك العصر من تضييع آثار بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وجهوده الشاقة. ولولا عاشوراء لسيطر المنطق الجاهلي لأمثال أبي سفيان الذين أرادوا القضاء على الوحي والكتاب».

حتى صار بحق حسين العصر الذي شاء الله تعالى له أن ينتصر ويحقق أهداف كربلاء ولو بعد حين. لذا كان من الطبيعي أن يتمثل الإمام في تفاصيل جهاده اليومي وفي خطبه ومواقفه التي كان يطلقها إبان أحداث الثورة الإسلامية تفاصيل أحداث ثورة الحسين ومواقفه وكلماته ومواقف وكلمات أصحابه وأهل بيته عليه وعليهم السلام. فشعار «هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون» كان الموقف الحاسم الذي يعبر عن رفض جميع التسويات المذلة التي كان يراد من خلالها إسقاط الثورة وخنقها في شوارع طهران.

ومقالة علي الأكبر ابن الإمام الحسين(ع) التي قالها لأبيه سيد الشهداء(ع) «يا أبا إذاً لا يهم أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا» كانت المقالة التي حركت آلاف الشباب الإيرانيين الذين هم في سن علي الأكبر ليندفعوا إلى شوارع طهران طالبين إحدى الحسنيين «النصر أو الشهادة». هؤلاء الشباب الذين كان يخاطبهم الإمام الخميني ليقول لهم إني كلما نظرت إلى تضحياتكم خجلت من نفسي.

ومقالة الحسين «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً» كانت المنطلق لثورة الإمام الخميني على الملك الظالم الّذي حوّل حياة الشعب الإيراني إلى جحيم. فقدم الإمام الموت والشهادة على الحياة في ظل هذا الملك الظالم ووضع دمه على كفه مقدماً سعادة الموت على الحياة السوداء.

وكما جده الحسين الذي قال «والله لو لم يبق ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية» كان الإمام يقول لو بقيت أنتقل من مطار إلى آخر كل حياتي لما سكتّ ولما تخليت عن مواجهة الملك الظالم.

لقد كان الإمام يؤمن بانتصار الدم على السيف وأن للدم القدرة على هزيمة كل الآلة الفولاذية لجيش الطغيان وأن تجربة كربلاء وانتصارها يمكن أن يتكررا في أي عصر. وقد استخدم الإمام هذا الشعار كثيراً في مفردات ثورته وهو القائل: «لقد انتصر الدم على السيف أترون آثاره باقية حتى اليوم حيث ظلّ النصر حليفاً لسيد الشهداء(ع)».

ولقد واجه الإمام الخميني كل الأصوات التي كانت تدعوه إلى وقف الثورة بحجة كثرة إراقة الدماء وسقوط الشهداء بلا طائل. اعتماداً على هذه المقولة المقدسة التي كان يؤمن بها وهي «انتصار الدم على السيف».

أما الشعار المركزي الأقوى الذي ترجم كل مفردات الثورة الحسينية وضخها في قلب وجسد ثورة العصر فقد كان شعار «كل يوم عاشوراء كل أرض كربلاء» حيث استطاع الإمام أن يستحضر جميع قيم وتعاليم وحتى شعارات عاشوراء وكربلاء إلى ساحة الثورة الإسلامية في إيران ليجعل من إيران أرضاً كربلائية ويحول العصر الحاضر إلى عصر عاشورائي ينبض بالثورة والدم وعطر الشهادة وعطاء الإيثار والتضحية.

ولقد استطاع الإمام (قدس سره) أن ينفي عن هذا الشعار كما عن باقي شعارات الثورة الحسينية ما علق بها عبر الزمن من تشوهات في الفهم أراد مبتدعوها أن يعطلوا تلك الشعارات العظيمة ويخرجوها من دائرة التأثير في الحاضر بل يحولوها إلى دائرة التأثير السلبي والمضر. لذا كان الإمام حريصاً على توضيح معنى الشعارات الحسينية ومن ذلك قوله: «إن مقولة كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء مقولة كبرى لكنها تُفهم فهماً مغلوطاً. فبعضهم يتصور أنها تعني أننا ينبغي أن نبكي كل يوم لكن محتواها غير هذا. لو نظرنا إلى دور كربلاء في يوم عاشوراء لأدركنا أن على كل أرض أن تكون كذلك. أن تمارس دور كربلاء. ذاك الميدان الذي خاض فيه سيد الشهداء(ع) غمار الحرب ومعه ثلة قليلة فصمدوا وقاوموا وقتلوا ورفضوا الظلم وهزموا يزيد ودحروه. هكذا ينبغي أيضاً أن تكون بقية البلدان وينبغي لنا أن نقف في وجه الظلم في كل يوم ونعتبر أن هذه أيضاً ارض كربلاء وعلينا أن نعيد فيها دور كربلاء»

لقد كان الإمام يعتقد أن الثورة الإسلامية في إيران شعاع من عاشوراء وأن حياة الشعب الإيراني واستمرار عزته رهن بإحياء مراسم وقيم وشعارات عاشوراء وأن في إحياء ذلك كله صوناً للثورة وللشعب. ولطالما افتخر بأن شهداء الثورة الإسلامية هم كشهداء كربلاء الذين كان يتمنى أن يكون واحداً منهم وكان يعتبر نفسه خادماً لهم. وبحق أقول إن شعارات كربلاء كانت الذكر والتسبيح العملي للإمام وكانت ماء حياة وانتصار ثورته الإسلامية المباركة.